جنون الحب

(ثريا) فتاة تعدت العشرين بقليل ، تتمتع بجمال جذاب ، يقولون إنها فقدت عقلها ، عندما أحبت بجنون ، عرفتها من خلال العلاج النفسي الجماعي .. كانت تبكي حاولت تهدئتها .. و بعدما هدأت .. تحدثت معي .. ببراءة طفلة صغيرة ، غابت عن الحياة ، تحس أنها تعيش في جنة يحيط بها الأزهار وتتطاير الطيور حولها ، والفراشات ترقص مع حديثها وهي تحكي عن قصة حبها له ، تبدو لك لوحة فنية متناسقة تفوح جمالا ، تستمع إليها بشوق وكلك آذان صاغية ، جاذبيتها وسحرها ليسا ما يجذبك ، بل الأكثر جاذبية إحساسها وصدقها وهي تحكى عنه :

أحببته طوال سنوات عمرى ، منذ وقعت عيني عليه ، أحببته طفلاً بريئاً ، وشاباً ثائراً ، و رجلاً جذاباً ، كان حلم كل فتاة ، لفت انتباهي بتفوقه ، دراسيا و رياضيا و ثقافيا ، عشقت القصص والقراءة ما إن عرفت بحبه لها ، حتى

المباريات سرت أعشقها وأشاهدها كل يوم ، أحببت أن اشاركه اهتماماته ، كان من الممتع لي أن أعيش لحظات معه و لو بالخيال ، كنت أراقبه من بعيد بعشقٍ وشوقٍ ، أشاهده و هو يلعب الكرة كأنه يعزف بها لحنا ، على أوتار قلبي ، عشت معه مغامرات وحكايات في عالم من السحر والخيال ، نسجته بعقلي ، وعشته بقلبي ومشاعري التي فاضت لتملأ حياتي حباً ، سافرت معه بروحي وقلبي في عالم يجمعني به وحده ، لم أعد أفرق بين الحلم و الواقع ، كان يشاركني كل خطوة ، أتحدث إليه متى أريد ، ويحدثني أينما كنت ، ننام معا ونستيقظ معا على دقات قلوبنا وألحانها ، تعزف داخلي أنشودة الحب والحياة !!

صرت مريضةً به ، و كأنه دائي و دوائي ، فرحي وحزني ، ألمي و أملي ، لم أعد أريد غيره ، نسيت نفسي ودراستي وأحلامي ، وعشت له و به ، كان نجاحه نجاحا لي ، و تفوقه سر سعادتي !!

لم الاحظ أنني أتأخر وهو يتقدم ، أصبحت خلفه بعد أن كنت بجواره ، تراجعت دراسيا لانشغالي به ، واستسلامى لأحلام اليقظة و الآمال الواهمة .

حتـي رأيتـه ذات ليلـة أمـامي ، هـو حقيقـة و لـيس خيالـه وطيفه اللذان يلاحقاني ، نظرت إليه في دهشة ، ونظر إليَ في شوق ولهفة ، و وقفنا عاجزين عن الكلام ، ولكن عيوننا كانت هي التي تتحاور وتروي كل ما في قلبينا !!

سمعِت كل كلمة لم ينطق بها ، وسمَع كل كلام قلبي بصمت ، تشابكت يدانا و سرنا معًا بين الأنوار الساحرة ، كان المكان جميلًا ، بدا كأجمل بقعة في العالم .

كأننا نرى الدنيا لأول مرة بعيون الحب ، ونسبح في بحر الهيـام والعشـق ، دون أن نخـاف الغـرق ، ابتسـمنا معـا ابتسامة محت كل ألم وحزن ، سْرنا كثيرا .. لم نَكل أو نتعْب ، حتـى إنتهينا إلـي صـخرةٍ تُنير كأنها القمر ليلة تمامه ، بجوارها أزهار رائعة ، تفوح عطرا لم أرى مثلها أبدا !!

قطف لـي زهرة و قبَلها ثم نـاولني إياها ، وكأنها الرسالة التي تحمل كل معاني الحب التي لم يكتبها ، وكل كلمات العشق التـي لـم ينطقها ، ذاب قلبينا شوقا وحبا .. تنهدنا معا كأننا تحدثنا طويلا وتعبنا ، ثم عانقني عناقا أذابني

فيه ، عناقا أطفأ نارا اشتعلت منذ سنوات ، صرنا جسدا واحدا ، ذاب قلبي و روحي بين ذراعيه ، وكأن الكون قد خلا من البشر و لم يعد غيرنا به ، كأننا غبنا عن العالم وطرنا نسبح في فضاء شاسع ، ينيره القمر وتزينه النجوم !!

كان هو قمري ، تمنيت إن كان حلماً ألا استيقظ منه ، وألا أعود للأرض مرة أخرى ، لكنني سمعت صوتا يناديني بإلحاح ، تجاهلت الصوت تماما ، حتى اقترب صاحبه و جذبني من بين ذراعي فارسي !!

كان صوت أبي يعنفني ، وهو يحاول إيقاظي " استيقظي أيتها الكسولة .. كفاكِ نوما وكسلا .. هيا انهضي !! "

نهضت من رقدتي .. ولكن أظلمت الدنيا فجأة وغاب القمر، أصبحت وحدي بلا عاشق و لا حب ، ذبلت عيني من الدموع و توقفت الأحلام ، يقولون أنني كنت نائمة ، ولكنه كان معي هنا ، أقسمت للجميع ولكنهم وصفوني بالجنون !!

ظللت أعواما معه ، حتي استيقظت لأجد القمر قد غاب والشمس ترسل بحرارتها لتحرق قلبي وتذيب أحلامي الوردية ذوبان الجليد ، استيقظْت لأجد أننا لم نلتق ولن نلتقي أبدا ، كنت بعيدة عن الأرض أهيم في أجواء السعادة والحب ، وهبطت لأجد كل شيء قد تحطم ، لأجد العذاب و الألم ينتظراني !!

يقولون : مات حبيبي ، مات في حادث سير .. لم أصدق لأنه معي أراه كل ليلة و أتحدث إليه !! لا أحد يصدقني !! أنا لست مجنونة !! فهو ما زال هنا معي ، قل لهم يا حبيبي إنك هنا معي ، ألا ترونه ؟!! أنه لم يمُت !!

بعد ما سردت عن حكايتها ، ونفثت عما يدور داخلها .. تنهار ثريا فتضمها أختها ، التي ترافقها في رحلة علاجها التي استمرت طويلا ، تأتي الطبيبة تحقنها حقنة مهدئة لتهدأ .. تتساقط دموع الحضور حزنا عليها وشفقة ، وسؤال يدور بخلد شقيقتها : لماذا يقتلنا الحب ، ويقودنا للجنون ، و يفعل بنا ما يريد !؟ .